صناعة الشعر عند ابن خلدون

أ / مراد العرابي
جامعة سعد دحلب - البليدة

من الشائع تعريف الشعر بكونه الكلام الموزون المقفى، وهو تحديد يمكن أن يشكل فصلاً حقيقياً بين الشعر والنثر، ويقوم في الأصل ـ كما هو ظاهر ـ على معيار شكلي محض يتعلق بالوزن، أو الإيقاع باعتباره المكون التشخيصي الأبرز المميز للنصوص الشعرية عن غيرها، والذي يوفر تلك الخصوصية في تعامل المتلقي معها، فتخف على السمع واللسان، ويميل إليه الطبع [1]، فتكون بالذهن أعلق، وإلى النفس أحب، وربما أصبح اللحن أو الوزن ألذ الملاذ كما يقول ابن رشيق [2].

إن التعريف السابق تعريف شكلي يفتقر إلى مقومات الشعرية الحقيقية، التي تدعو إلى مضمون متميز يتجاوز حدود النظم الخطي للكلمات على المحور الأفقي كما يتجاوز فكرة الوزن أو الإيقاع أيضاً. يقول ابن خلدون في مقدمته في محاولة للتحديد الدقيق للشعر: "وقول العروضيين في حده أنه الكلام الموزون المقفى، ليس بحد لهذا الشعر الذي نحن بصدده، ولا رسمٍ له. وصناعتهم إنما تنظر في الشعر من حيث اتفاق أبياته في عدد المتحركات والسواكن على التوالي، ومماثلة عروض أبيات الشعر لضربها. وذلك نظر في وزن مجردٍ عن الألفاظ ودلالتها، فناسب أن يكون حدّا عندهم. ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة. فلا جرم أن حدّهم ذلك لا يصلح له عندنا، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته".

إن الرؤية التي يقدمها أغلب العروضيين لتعريف الشعر تفتقر- كما يرى ابن خلدون- إلى جوهر الشعر، أو حقيقته أو لنقل روح الشعر، وهو ما يحمله على تعريف بديل لمفهوم الشعر لا يلغي التعريف السابق القائم على الأركان المعروفة المتمثلة في الإفادة والوزن، والقافية، وإنما يضيف عليها ركنا آخر يمثل بحق روح الشعر، يقول: "الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به" [3]. ويقول أيضاً: "هو كلام مفصل قطعا متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة من هذه القطعات تسمى عندهم بيتا ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رويا وقافية

ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده" [4].

إن تعريف ابن خلدون للشعر يقوم على مجموعة من الأركان، أولها الإفادة وهو ما يظهر يستفاد من قوله: " كلام "، ومعلوم أن الكلام هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها كما يقول النحاة [5]، " تقول: كلّمته أُكلّمه تكليماً؛ وهو كَليمِي إذا كلّمك أو كلَّمتَه. ثمَّ يتَّسِعون – يقول ابن فارس - فيسمُّون اللفظةَ الواحدة المُفهِمَةَ كلمة، والقِصَّةَ كلمة، والقصيدةَ بطولها كلمة. ويجمعون الكلمةَ كلماتٍ وكَلِماً. قال الله تعالى: "يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ " (النساء 46، المائدة 13) [6].

أما شرط هذا الكلام فبلاغته التي تقوم - كما يقول - على الاستعارة والأوصاف، ويخرج عن دائرة الشعر ما كان خالياً من ذلك. كما يشترط أيضاً تفصيله وفق شكل مخصوص يستوجب روياً وقافية للقصيدة كلها.

كما يشترط فيه أيضاً استقلال كل جزء من القصيدة بغرض مستقل ومقصد خاص، وهو الأمر الشائع في القصيدة الجاهلية التي كانت تقوم على استقلالية البيت.

ويضيف أيضاً شرطاً آخر يلزم الشاعر باقتفاء أساليب مخصوصة في نظم الشعر، فالقصيدة العربية تقوم وفق تقاليد معلومة ومضبوطة ينبغي اتباعها. أما ما خالفها فهو خارج عن دائرة الشعر، كما هو الحال بالنسبة إلى شعر المتنبي وأبي العلاء [7].

- **صناعة الشعر عند ابن خلدون:**

الشعر عند ابن خلدون صناعة دقيقة معقدة يقوم فيها الشاعر بالنظم والتأليف والبناء على مستويات عدة من أجل إنتاج شعره، ويشبّه ابن خلدون ما يقوم به الشاعر بعمل البناء أو المصور أو النساج، وهي تشبيهات تمتد تاريخياً إلى زمن أبي عثمان الجاحظ حين يقول: " إنما الشعر صناعة، ضرب من النسج

وجنس من التصوير " [8].

وربما كانت صناعة الشعر أقرب إلى عملية النسج منها إلى باقي الصناعات، وهو ما أدركه واضع اللغة، فالنسج في أصله ضم الشيء إلى الشيء [9]، ولأجل ذلك أطلقت العرب على ما يكتبه الشاعر اسم " نسج "، ولعلهم شبهوا ذلك بنشاط الريح حين تفعل في الرمال فعلها فتنسج رسم الدار والتراب والرمل والماء إذا ضربته فانتسجت له طرائق كالحبك " [10]، والريح تنسج التراب إذا نسجت المور والجول على رسومها [11].

كما أن الغربيين اعتمدوا التسمية نفسها فالنص الذي ينتجه المتكلم شاعراً أو ناثراً إنما هو نسج [12]. إذ من المثير للانتباه أن نجد أن عملية البناء التي يقوم بها متكلم اللغة على المحورين التركيبي والاستبدالي هي في واقع الأمر عملية نسج تحدث على محوري النسج السدى والنير مما يشكل نصّاً Texte من Texture أي النسج [13]، وهو أمر أثاره ابن خلدون قبل ذلك بقرون.

إن إنتاج الشعر من الناحية العملية أمر شديد التعقيد، كما أن ميلاد بيت من الشعر لا يكون وليد لحظة معزولة إذ ينتقل الشاعر - قبل أن يكون شاعراً - من طور إلى طور قبل أن يتمكن من ملكة الشعر، ويمتلك مفاتيحها، لأن الأمر لا يتعلق بمعرفة قواعد الشعر والتفقه في القواعد العروضية، كما أن الواقع يثبت أن ناقد الشعر لا يستطيع بالضرورة كتابة الشعر.

إن إنتاج القصيدة حسب ما يراه ابن خلدون يخضع لمنطق الارتقاء أو الأطوار [14]، ومن الطبيعي حينئذ أن تمر العملية بأطوار تطول أو تقصر بحسب خصوصية كل طور، انتقالاً من مرحلة قبلية طويلة، إلى مرحلة النظم، ثم المرحلة البعدية أو مرحلة المراجعة والتنقيح:

- المرحلة القبلية:

هي مرحلة " التحصيل " أو تشكيل الملكة وهي مرحلة يقوم فيها الشاعر بحفظ أشعار غيره من الشعراء، واستيعاب قوالبها الخاصة. ويكون ذلك بحسب ابن خلدون بحفظ أشعار شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة أو وأبي فراس في أقل الحالات، يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن عمل الشعر: " اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطا أولها لحفظه من جنسه أي جنس من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها

ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس وأكثره شعر كتب الأغاني لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية، ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر رديء، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط " [15].

وبعد الحفظ الكافي، ينتقل الشاعر إلى مرحلة المران أو الرياضة، إذ يقوم بنظم الكلام على المستويين النيري والسدائي، مقتفياً آثار قوالب الشعر المستوعبة في مرحلة الحفظ، وينبغي أن يواظب على ذلك لأن القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والإهمال. كما ينبغي أن يحذر الشاعر من الوقوع في تقليد غيره، ولأجل ذلك يستحب نسيان ما حفظه الشاعر، يقول ابن خلدون: "وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتحمى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة" [16].

- مرحلة نظم القصيدة:

بعد المران الكافي والتدريب على صب العبارات في قوالب الشعر الخاصة، يكون الشاعر قد تمكن من تحصيل ملكة الشعر، وقد ثبت أن العملية غاية في التعقيد بالنظر إلى مستويات النظم الكثيرة والمتآنية، ويشبه ابن خلدون العملية بعملية النسج على منوال، يمثل محوراه السدى والنير ما يعرف في اللسانيات الحديثة بالمحورين التركيبي والاستبدالي أو الترابطي، يضاف إلى ذلك مستوى الوزن أو الإيقاع، مع تعقيدات أخرى تجعل من العملية أمراً غاية في الدقة، كما أن الشاعر في واقع الأمر كالنساج أو المصور يقتفي آثار صورة ذهنية مرسومة في ذهنه ويحاول صياغتها في ألفاظ، أو ألوان وحركات بالنسبة إلى المصور، يقول ابن خلدون في ذلك: "إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيها

رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي..." [17].

إنها عملية غير سهلة، لكن بعض الأمور قد تساعد في تيسيرها إذا كان الاستعداد موجوداً، ومن ذلك عوامل تتعلق بالشاعر ونفسيته وظروف الزمان والمكان، ولأجل ذلك يحدد ابن خلدون مجموعة من العوامل المساعدة كالراحة مثلاً لأن الإرهاق يصعب العملية، وكذا عامل الوقت الذي يتم فيه النظم، لأن بعض الأوقات قد لا يناسب العملية، كما أن الخلوة وسحر المكان قد تكون من البواعث المهمة المنشطة للقريحة، كما أن العامل النفسي من لوعة وعشق وألم قد يكون لكل ذلك أثر بين في جمال القصيدة، يقول: "ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار، وكذا من المسموع لاستثارة القريحة

باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور. ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جَمام ونشاط، فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه. قالوا: وخير الأوقات لذلك أوقات البُكَر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هوام الجمام. وربما قالوا إن من نزعته من بواعثه العشق والانتشاء" [18].

كما ينصح ابن خلدون الشاعر في حالة الاستصعاب أن يستبدل الحال أو يدع الشعر إلى وقت لاحق، لأن ذلك أصلح. يقول: " فإن استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه " [19].

باقتفاء أثر القوالب فإن صناعة الشعر هي مرحلة تالية بعد كثرة الحفظ والمران الكافي، وهو الحال بالنسبة إلى ملكة اللغة أيضاً، فنظم الكلام وفق سنن العرب في كلامها لا يمكن أن يقوم دون المران الكافي وحفظ القوالب التي تصب فيها عبارات متكلمي اللغة، يقول: " وذلك أنا قدمنا أن اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها عل اللسان حتى تحصل " [20].

إن المعرفة بدقائق الشعر وقوانين نظمه وأوزانه لا يمكن أن تنتج قصيدة ولا تصنع شاعراً، وإنما " يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال " [21]، تماماً كما يفعل الرسام الذي يحاول تشكيل صورة معينة مقتفياً أثر صورة ذهنية هي كالقالب الذي يصب فيه ألوانه. أو كما هو الحال بالنسبة إلى البناء أو النساج الذي يحاول اقتفاء صورة معينة منطبعة في الذهن. يقول: " ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيها رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة وأمثال ذلك كثير من سائر فنون الكلام ومذاهبه " [22]، إن صناعة الشعر تقوم على مفهوم المنوال أو الأسلوب باعتباره مفهوماً أساسياً يحاول الوصول إلى جوهر الظاهرة الشعرية، ويجتهد في إعطاء تفسير علمي يتوافق مع كل أبعادها،

المرحلة البعدية، أو مرحلة التنقيح:

إن مراجعة القصيدة كما ثبت عند كثير من الشعراء أمر قد يطول عند بعضهم إلى حول من الزمان، ولذلك دعيت بعض القصائد بالحوليات، إذ يقوم الشاعر في هذه المرحلة بتكرار القراءة مرات عديدة، بما تقتضيه شروط الفصاحة التي فصل في شرحها البلاغيون، وقد يقتضي الأمر العدول عن بعض ما جادت به القريحة وهو أمر قد يشق على الشاعر،

ولكنه أفضل من الضرورة، وخير من عدم مناسبته للقصيدة مما قد يجعل العبارات والألفاظ قلقة في غير موضعها الصحيح، يقول: " وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به فإن كل بيت مستقل بنفسه ولم تبق إلا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو نبات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام إلا الأفصح من التراكيب والخالص من الضرورات " [23].

كما ينبغي أن يبتعد الشاعر عن التعقيد في كلامه، وعن كثرة المعاني في البيت الواحد، إذ أن خير الكلام ما كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذهن [24]، وهي فكرة قديمة في البلاغة العربية، يقول الجاحظ: " وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه -: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.. " [25].

إن تعريف الشعر بقول العروضيين إنه كلام موزون مقفى لا يعكس أبدا حجم التعقيد الحقيقي لعملية إنتاج الشعر، ولعل ما قدمه العلامة ابن خلدون يعد تحليلاً قيماً، حقيقياً، دقيقاً، يضاف إلى ما قدمه بعض نقاد الشعر من أجل الوصول إلى تفسير حقيقي لحقيقة الشعر والشاعر. إن ما قدمه ابن خلدون من القيمة بحيث يصل إلى جوهر الظاهرة من كل نواحيها، غير أن ظروف الزمان والمكان لا تدع فرصة لاستعراض روعة ما قدمه رجل عملاق وضع يده على حقيقة كثير من الأمور.

هوامش البحث:

[1] - ينظر: تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب: محمد بن أبي شنب، دار الغرب الإسلامي، ط 4، 1990، ص 7

[2] - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي حسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 26

[3] - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط 5، 1984م، ص 573

[4] - المقدمة، ص 569، 570

[5] - ابن عقيل العقيلي الهمذاني: شرح ابن عقيل، تح: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 15

[6] - معجم المقاييس: ابن فارس، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر، ج 5، ص 146

[7] - المقدمة، ص 573

[8] - الحيوان، تح: د/ يحي الشامي، دار مكتبة الهلال، 1997م، المجلد 1، ج 3، ص 408

[9] - لسان العرب، ج 2، ص 376

[10] - مجلة اللغة والأدب، العدد8، ص 11

[11] - لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1، د ت، ج 2، ص 376

[12] - مجلة اللغة والأدب، العدد8، ص 11

[13] - ينظر: مجلة اللغة والأدب، العدد 8، ص 11

[14] - يمثل فكر ابن خلدون سبقا حقيقياً إلى نظرية الارتقاء أو التطور والتي ينسبها الغرب إلى داروين فالكائنات كلها تخضع لمنطق التطور من صورة إلى صورة أخرى كما لو أنها حقيقة أخرى وليست تطوراً داخلياً لحقيقة واحدة.، للاستزادة ينظر:

- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، محمد الصغير بناني ن دار الحكمة، ص 52

[15] - المقدمة ن ص 574

[16] - المقدمة، 575

[17] - المقدمة، ص 570

[18] - المقدمة، ص 574

[19] - المقدمة، ص 574

[20] - المقدمة ن ص 577

[21] - المقدمة، 571

[22] - المقدمة، ص 571

[23] - المقدمة، ص 574، 575

[24] - ينظر: المقدمة: ص 575

[25] - البيان والتبيين، تح: المحامي فوزي العطوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985م، ص 78

ملامح الإنسانية في شعر عمر بهاء الدين الأميري

الباحث: عبد الله لاطرش
باحث في الدراسات العليا
جامعـــة تلمســـان

توطئة:

إن أعظم كتاب مقدس على وجه المعمورة في حياة المخلوقات كلّها اليوم هو القرآن الكريم، وقد احتفى بالإنسان كأفضل وأكرم هذه المخلوقات في أكثر من موضع من سوره الكريمات، فقد أفرد له سورة كاملة هي سورة "الإنسان" أو "الدهر" كما هو أحد أسمائها قمّة في التشريف والتكليف وآياتها الأولى قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ ا". ثم إن الكتب السماوية الأخرى –رغم ما طالها من تحريف- كان الإنسان مدار حديثها وصلب خطابها، لتنطلق الدراسات والأبحاث الفكرية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية والأنتروبولوجية والأدبية تعتني بالإنسان في جوانب مختلفة متشعبة في محاولة منها إدراك حقيقته وحقائقه، ولا يزال البحث إلى اليوم مستمرا ويتعمق أكثر فأكثر في كنه هذا الجُرم الصَّغير الذي انطوى فيه الكون بعوالمه..

ومن بين الذين اهتموا بالإنسان مقرونا بإنسانيته الشعراء عبر حقب متتالية من تاريخ الشعر الطويل، ولا زالوا تاركين بصماتهم وآثارهم مخلدة مواقف الإنسان وسلوكاته وقيمه وعواطفه ولحظات انتصاره وانكساره، قوته وضعفه.. الخ

ولعل الشعر المعاصر حفل بالموضوع فأعطاه ما يستحقّ في ضوء التّفاعلات التي يعيشها الإنسان بمدّها وجزرها، ومن أبرز هؤلاء الشّعراء المعاصرين الشّاعر الكبير ابن الشّام عمر بهاء الدّين الأميري، وقد نال نظير عطائه الشّعري الغزير في اهتمامه الواسع القدير بالإنسان، لقب "شاعر الإنسانيّة المؤمنة" بسبب ما حمله شعره من قيم سامية وروحيّة، وكذا العاطفة المتدفقة والمشفقة على الإنسان، بمعيّة النّظرة التي أسّس لها في دواوينه والمتعلقة بعلاقة الإنسان مع خالقه، مع ذاته، مع مجتمعه، مع أمّته، مع بني جنسه، مع الكون الفسيح.

فكيف هي إذاً ملامح هذه الإنسانيّة التي يزخر بها شعره المتدفّق المنساب في قالب فنّي وجمالي، أحكمَ صوره وموضوعاته؟ وإلى أي مدى يمكننا الجزم بأن شاعرنا صاحب لمسة إنسانيّة طبعت شعره وأَثرت الاتجاه الإنساني في الأدب ودراساته؟

نبذة مختصرة عن الشاعر:

لقد فتح شاعرنا عينيه على الحياة (1916- 1992) والحرب العالمية الأولى مشتعلة "منذ العاشر من رمضان 1332هـ - 03 أوت 1914م واستمرت حتى المحرم من عام 1337هـ - نوفمبر 1918م، وكان وطن الشّاعر سوريا وبلدته حلب، بوصفها إحدى ممالك الدولة العثمانية.." [1] وتعدّ حلب ".. من أقدم المدن العامرة في العالم تتابعت على ثراها عدّة حضارات إنسانية ونعمت بدخول الإسلام إليها منذ العام الخامس عشر الهجري... حظيت حلب من الإدارة العثمانية بعناية خاصة حيث كانت من أوائل المدن التي تمتّعت بوسائل الحضارة الحديثة فقد تمّ تنوير الشوارع، وتنظيم البرق والبريد، وأنشئت المشافي والمدارس والدوائر الرّسمية لخدمة الشعب."[2]

لقد اكتملت للأميري شخصية متميزة، بسبب التزامه بمبادئ دينه، وإفادته من مواهبه المتعدّدة وتأثره بظروف حياته الخاصّة وثقافته المتنوّعة وعلاقاته الواسعة، وأسفاره الكثيرة وتعدّد مواطن إقامته، وتنوّع أعماله الوظيفية، وقد اكتنف ذلك كلّه عمره المديد، حيث نيَّف على خمسة وسبعين عاما.[3]

كما أنّ "الأميري شاعر مطبوع، ولد بنفس شاعرة وإحساس حادّ بالجمال، ولعلّ هذه المنحة الربّانية هي التّي جعلته شاعرا أنضج فنّه وعمّقه، عن طريق الغوص في ذاته ومحيطه، فكان شعره مرآة صادقة لنفسه ومجتمعه وأمّته.[4]

لقد كان الأميري "مكثرا من قول الشّعر، حتى بلغت دواوينه أكثر من أربعين ديوانا مطبوعا ومخطوطا... كما كان حريصا على إنسانيّة أطروحاته متّصلةً بالإيمان، في مؤلفاته الفكرية ولقاءاته الإعلامية بأنواعها، بل وفي شعره في غالب اتجاهاته الموضوعيّة، ولا سيما ما يختص بموضوع الإنسان مباشرة[5]وتجدر الإشارة هاهنا إلى شيء من الشّعر ذكره في إحدى قصائده حين اقترب من الستين وحاول أن يسترجع من ذاكرته المجهدة شيئا من ماضيه، فلم تسعفه بكل شيء، فقال:

غاض من ذاكرتي عهد الصّبا والشّباب الغضِّ إلاّ غبرات
قطّع النسيان عمري مزعا فكأنّي عشت عمري فترات
وانمحى من خلدي جلّ الذي خضته في جلدي من غمرات
فلكم قصّ عليّ الصَّحب من طَرَفِ الأخبار عنّيَ شذرات
وأنا أسمعها مبسما وبقلبي من أساه جمرات
بقيت لي من حياتي صورٌ عبرٌحينا.. وحينا عبرات[6]

ينتمي شاعرنا إلى أسرة كانت ذات أمارة ووجاهة في "البصرة" بالعراق، وقد هاجرت إلى الشّام منذ العهد العثماني. وقد قال هو عن أسرته إنّها: أسرة نبل ووجاهة وسياسة وتجارة.

لقد اكتمل للأميري –إلى حدٍّ كبير- ظروف النّشأة السَّليمة، فقد نشأ في ظلّ أسرة تتمتّع بالنَّسب العريق، والجاه العريض، والمكانة الاجتماعيّة الرفيعة، والصِّلات السِّياسيَّة المرموقة، والثّراء الطَّائل فنبت نباتاً أميريّاً، تتكثَّف في شخصيَّته أمجاد ماضي أسرته المشرِّف إلى جوار ماضي أمَّته المشرق، ويغذِّيه الحاضر الذي عاشه في كنف والدين متعلِّمين وجيهين، إلى جوار رفقة ذات همّة عالية، ويحيط به إخوة ناجحون في حياتهم العلميَّة والعمليَّة...[7]

وبعد رحلة طويلة حافلة بالفكر والإسهامات العلميَّة والعطاء الشّعري والأدبيّ وكذا الدبلوماسي خدمة لبلاده وأمَّته، وبعد صراع مرير طويل مع المرض وافته المنية مساء يوم السَّبت 1412/10/22هـ الموافق 1992/04/25م بالرّياض في المملكة العربيّة السعوديّة لينقل إلى المدينة المنوّرة التي طالما شدا بها ولها وتمنّى أن يضمّه ثراها الطَّهور، ومن ذلك قوله:

عبـــدك يـــا ربّـــاه، تحنانـــه ووجـــده الأكمـــل والأمثـــلُ
إلى رحـــاب المصـــطفى طيفهـــا كأنّـــه في قلبـــه مشـــعلُ
فاجعـــل لـــه في خلـــدها منـــزلاً فقـــد جفـــاه في الـــدُّنى المنـــزلُ[8]

وتحققت الأمنية، فدفن في البقيع –رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته.[9]

وقد رثاه الدّكتور عدنان رضا النحوي:

أخـي عمـرًا: يـا ويـح نفسـي! أراحـل وحشـد القـوافي مـن حواليـك نُحّـبُ
لقـد كانـت الأشـعار جـذلى غنيـة بجـودك والنّشـر الـذي هـو طيّـبُ
فمـا بالهـا التاعـت! فيـا لمصـابها وقـد غـاب عـن أفـق البلاغـة كوكـب
كـأن صـدى "نجـواك" في كـل منـزل خشـوعٌ وفي السـاحات زحـف مـدرّبُ
رحلـتَ وفي جنبيـك أنّـات أمّـةٍ وفي الصـدر صـيحاتٌ تثـور وتغضـبُ
رحلتَ وفي كلّ الميادين صـرخةٌ تردَّد: أين الفـارس المتوثِّـب؟[10]

الإنسان والإنسانية:

يقول الدّكتور أحمد البراء الأميري ابن الشّاعر في إحدى مقالاته: "... في السطور الأولى تساءلت: أهو شاعر إنسان أم إنسان شاعر؟ وتكلّمت عن شعره وشاعريته ولا بد لي في نهاية هذا المقال من الإشارة إلى "إنسانيّته" لأنّها أهمّ مفاتيح شخصيّته التي تجلّت في شعره كما

تجلّت في فكره وسلوكه لمن عرفه عن كثب، وجعله يحبّ أن يوصف بـ{شاعر الإنسانية المؤمنة}".[11]

وهي لعمرك شهادة قوية من ابن شاعر تدرّج وتربّى في بيت وواحة الشّعر فناله نصيب منه، وعرف عن قرب بسبب القرب والملازمة الأسريَّة حقيقة أبيه وشعره وفكره.

يواصل الدكتور أحمد: كانت إنسانية الأميري –رحمه الله- واسعة الطَّيف، تبدأ بالحجر وتنتهي بالبشر، وتمرُّ بينهما بالشجر والزّهر والثّمر، والقطّة والعصفورة والفراشة... كان يضفي حياة على الأشياء والأماكن.. يحنو على الهرّة الصغيرة ويداعبها.. ينثر فتات الخبز للعصافير، يسقي الأزهار ويتعهدها بالتشذيب.. يحاور الغيوم ويسامر النّجوم، وكان وكان.. ولو أطلقت للقلم العنان لخرجت عن القصد من هذا المقال..[12]

إذاً نحن أمام معادلة تكمّل نفسها في شخصية الأميري بين إنسان شاعر تملأ جوانحه المشاعر والعواطف الصادقة وتحرك سلوكه وأخلاقه ومعاملاته فتبعث الدفء والحنان والسّكينة والمسرّة بين النّاس وما حوله فيتحقّقوا بناظريهم من مقام الأميري الشّاعر الإنسان الذي سخّر شعره وقلمه لخدمة الإنسانية فيما استطاع من جهد وتضحية، ولعلّني هنا أستشهد ببيت ذَكره ابنه أحمد في معرض حديثه عنه حيث قال: كان في الرِّياض عندما وضعت زوجة أخي محمد اليمان ولدهما الأول حذيفة، فاتصلتُ به هاتفيا وأخبرته بسلامة الأم وسلامة الوليد، فارتجل قصيدة طويلة مطلعها:

بـــارك الله بـــالبراء وبشـــرى زفّهـــا عـــن حذيفـــة بـــن اليمـــان[13]

مثل هذه الشّهادة، تجعلنا نؤكد أن شاعرنا بما ثبت عنده من حسٍّ مرهف ونفس مؤمنة وتجربة شعرية طيَّعت له ناصية الشّعر يتفاعل بقدرة عجيبة وقوة خيال كبيرة وفطرة نقيّة

سليمة مع المواقف التي تصادفه أو الأخبار التي تصله وتهمّه في شأن من شؤونه.. وهذه لا يتأتَّاها إلاّ من صاحبته الرُّؤْية الواسعة والخيال الفسيح والتوفيق المؤيد..

وما دمنا نتحدث عن الأميري الإنسان فلا بأس أن نورد هذه الشّهادة القيّمة للدكتور عبد القدوس أبي صالح إذ يقول عن الشّاعر: كانت شخصيته محبَّبة إلى من عرفه أو جالسه، وكان المرح سمة أساسية في طبعه، فإذا ضاق بجدية جلسائه وطول مجلسهم فإنّه ما يلبث أن ينقل الجلسة إلى شيء من المرح والمزاح أو مناشدة الشّعر وكان يأخذ بقول بشّار بن برد لجلسائه: "لا تجعلوا مجلسنا جداً كلّه ولا هزلاً كلّه". وكان كما يقول الجاحظ حفيّاً في كل شيء متأنقاً في ملبسه ومطعمه فإذا زاره أحد من أصحابه فإنّه ما يزال يطرفه بأنواع الحلوى والنُّقل طوال جلسته... وقد زرته مع بعض الإخوة في مصيفه في جبل الأربعين القريب من

مدينة حلب، ومع إكرامه البالغ لنا فقد أبى إلاّ أن يزوِّد كلَّ واحد منَّا بسلّة من فاكهة الرُّمان التي لم نرَ من قبل مثيلاً لها في حجمها... وكان كريما مع أنَّه لم يكن من الأثرياء، فهو على ما ورثه من والده ومن أوقاف آل الأميري، وعلى ما كان يأخذ من راتب العمل الدبلوماسي لم يترك ما كان يظنّه النّاس من سليل أسرة كبيرة، بل لعلّ من العجيب أنه أوصى ببيته الكبير في حلب أن يوهب لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ليكون مقر مكتب لها وكتب ذلك في وصيّته، ولكن سماحة الشيخ أبي الحسن النَّدوي ردّ البيت إلى ورثته دون تردّد ولمعرفته بأحوالهم.[14]

ويواصل د. عبد القدوس صالح فيقول عنه: والأستاذ الأميري في طبعه الشعري أشبه ما يكون بجرير الذي قارن الأخطل بينه وبين الفرزدق فقال: جرير يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر.. وكثيرا ما كنت أهاتفه فيقاطعني بقوله: اسمع هذه الأبيات التي خطرت على بالي الآن.. ويبدو أنّ من سمات الشّاعر المطبوع أنه يشغل بكثرة النظم عن تنقيح شعره، ومن هنا لا بد أن يأتي شعره على مستويين:

شعر جيّد لا يكاد يلحق وشعر معتاد يتخلَّف أو يسبق.. يقول أحمد في شعر والده كلمة عادلة منصفة "يمكن أن نختار من شعر والدي نحوا من 100 قصيدة وهذه القصائد المئة تجعله في مصافٍّ كبار شعراء العربية المعاصرين مثل شوقي وحافظ وغيرهما... ولعلّ في مقدمة هذه القصائد الجياد التي لا تلحق ولا تسبق قصيدة "أب" التي قال فيها الأستاذ عباس العقاد: إنها من غرر الشّعر العالمي".[15]

ومن هذه الشّهادة تستوقفنا مقولة الأديب الكبير العقاد: "إنها من غرر الشعر العالمي" مما يؤكد غوص الأميري في بحر الإنسانية العميق فاستحقَّ هذا التنويه وهذا الذِّكر، وما قيمة الشّعر العالمي إن لم يكن في خدمة الإنسانيّة وتطلعاتها وطموحاتها.

إنَّ شاعرنا في ديوانه الإنساني "أمّي" يعالج موضوع الأم بأسلوب فيه صدق الشّعور، وصدق العاطفة المتأجّجة، بلغة مناسبة تجعل المتلقي يتأثَّر ويتفاعل فيلتقط الرّسالة بمبدئها وخبرها، مما حدا ببعض الباحثين، وهو (إسماعيل علوي إسماعيل) أن يقول عن هذا الدّيوان: "إنه يمتلك شرف المعنى وجزالة اللّفظ التي تحدّث عنها المرزوقي في عموم الشعر رغم وجود الفارق بين شعر هذا الشّاعر وشعر القدماء في كثير من الأمور..[16]

ففي صدق العاطفة التي تصل حدّ التعبّد يقول الأميري:

أحـــنّ إلى أمـــي حـــنين متـــيم مشوق جزوع مدنف كلف صبّ[17]

ويقول حين ابتعاده عن أهله:

أحـــنُّ إلى أهلـــي حـــنين متـــيّم وفي بعيـــد ، في العـــوالم جائـــب

تؤرقـــه الـــذّكرى في خفـــق قلبـــه وتحتاطه الأشواق من كلِّ جانب[18]

كما يقول في موضع آخر فنفهم أن مشاعره صادرة من أعماق القلب والعقل:

اللّه كـــم مـــن آيـــة لمحـــبّتي قـد قصـرت في شـرحها أشـعاري[19]

كما أنه يصوّر في مكان آخر إحساسه بأمّه في جميع حالاتها الواقعيّة والنّفسية في بيتها وسفرها ، في دعائها ، في صبرها ، إذ يقول:

أبـي باسـم، والصَّـبر بعـض وقـاره وأمِّـــي ترنـــو في تلـــهّف لاغـــب

وتـدنو وتحنـو ، وهـي تمسـك دمعـة يراهـا خيـالي مثل ومض الحباحب[20]

وممّا يسجّل في شعره هذا توظيفه لغرض الحكمة حيث يقول مخاطباً أمَّه:

أمَّـــاه، هـــل أشـــكو الزَّمـــان؟! أقـــول: «منـــتفخ» ثبـــورا!

إن الزَّمـــــان «محايـــــدٌ» والنَّـــاس مَـــن ملئـــوا شـــرورا

أشـــكوهم، فلكـــم ألاقـــي مـــــنهم عنتـــــاً وزورا[21]

وفي موضع آخر يستصحب ذكر أمه التي لا تفارق كيانه أو خياله في سفره وترحاله، على أنّه كان دائم السَّفر قائلاً:

أمّـــاه يـــا ســـعدي ومجـــدي والحيـــاة خطـــى ســـفر[22]

وإذا انتقلنا إلى ديوانه الرّائع الجميل "رياحين الجنّة" الذي ينساب رحمة، وفطرة وحبّاً وصدقاً فإننا نقف على شاهد آخر يؤكد لنا هذه الشفافية التي يتمتع بها صدره وخياله، وانظر معي هذه الأبيات:

وأنـــتم أيـــا رضَّـــعاً رتَّعـــاً يراغـــون مثـــل فـــراخ الحمـــام

أيـــا قبســـة مـــن معـــين الخلـــود شعشـــع في فتنـــة وابتســـام

ويـــا صـــلة للتّـــراث الجـــدود لهـا عنـد ذي العـرش أعلـى مقـام[23]

"فالنظرة للطفولة نظرة فيها ارتقاء، وفيها روحنة للأطفال، فهم نور، وهم صوت الوجود وبريده الذي يحقق التواصل بين أجيال البشرية لتحقيق البقاء، وهم قبسة من معين الخلود وصلة التراث الجدود، كما ذهب إليه الدكتور عبد الحميد الحسامي من اليمن".[24]

وأنت تتمتّع بقصيدته الخالدة "أب" تشعر أنك أمام رياحين، الواحدة منها أندى وأصفى من أختها سواء كان حاضراً بينهم أم غائباً عنهم، فهم لا يبرحون كيانه وتفكيره ومشاعره:

ذهبوا، أجل ذهبوا، ومسكنهم ... في القلب، ما سطوا وما غربوا
إني أراهم أينما التفتت ... نفسي وقد سكنوا، وقد وثبوا
وأحسُّ في خلدي تلاعبهم ... في الدّار ليس ينالهم نصب
إني أراهم حيثما اتجهت ... عيني كأسراب القطا سربوا
ألفيتني كالطّفل عاطفة ... فإذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العذّال من رجل ... يبكي، ولو لم أبكِ فالعجب[26]

أي مشهد، وأي عاطفة، وأي إنسانيّة هذه التي تتقاطر كما العسل الصَّافي!

إنسانية الأميري مطبوعة بالحس الجمالي الراقي الذي يعلو بك في سبوحات المكان والزّمان فتلفّك نسمات من الصّفاء والحنان لحتى تردّد معه ما قال عن نفسه:

ما لك يا قلبي على الدروب ... تبحث عن كل حشا منكوب
تصنع من أنّاته وجيبي ... هل أنت يا قلبي أبو القلوب؟[26]

"إنها إنسانية تنظر بعين العطف والشفقة حتّى في لحظات انحرافهم وسقوطهم الأخلاقي التي يتعرّض لها الإنسان، كل إنسان على حين غفلة من الضمير."[27]

وتأمّل معي هذه القصّة التي يلخّص فيها الأميري بعضاً من ملامح إنسانيّته، يحكي فيقول:

كنت في طريقي إلى الجزائر، أعزّي بإمامها الشيخ المجاهد البشير الإبراهيمي، رحمه الله، وتوقفت ليلة في "جنيف" بضيافة شركة الطيران.

وفي نادٍ... كنت أجلس وحيداً، أتأمَّل النّاس؛ جاءت إحدى المضيفات تجلس بجواري،

وسألتني:

أتشرب هنا عصير البرتقال؟!

قلت: نعم.

قالت: وهل يمنعك الطبيب من شرب الكحول؟!

قلت: طبيب الكون الأعظم، الله، قد حرّمها، وأنا مسلم مطيع.

قالت: فقدّم لي كأساً من الخمر.

قلت: معاذ الله، كيف أقدّم الأذى للنّاس، وقد صنت عنه نفسي؟!

قالت: وماذا يهمك من أمري؟!!

قلت: نحن من أسرة واحدة.

عجبت، وسألت: كيف؟!

قلت: أسرة الإنسانية، إنها كلّها أسرة المسلم.

قالت: ومن أنبأك أني إنسانة؟! لقد أُنسيت ذلك من زمن طويل!

قلت: بل إنسانة! والمسلم لا ينسى الحق.

قالت: دعك من إنسانيتي! أنا هنا لأمارس حيوانيّتي...

قلت: وليس مكانك هنا!

قالت: وأين؟!

قلت: إلى جوار سرير طفل... في كنف زوج.

فأخذتها حرقة، وتساقطت من عينيها دموع، وتمتمت:

ما أرحمك... وما أظلمك!! ذكرتني بإنسانيتي، فأحييتني حتى أبكيتني !! ولكن، ما الجدوى؟! إنسانة! ولا أستطيع أن أعيش إنسانيتي ربع ساعة، نتابع حديثنا؟! فإن عليّ أن أقوم فوراً، لأمارس "حيوانيّتي" مع سواك، وقد أخفقت معك، لأنها مهنتي، ونظرات صاحب النادي تلاحقني لذلك، بضراوة لا رحمة فيها".[28]

الحوار على طوله مرآة عاكسة لشخصيّة الأميري الشّاعر الإنسان، حيث سخَّر شعره وقلمه لخدمة الإنسانيّة كلّها من منطق عقيدته وفهمه للحياة ودور المسلم فيها.

وانظر إليه يذكر فضل طبّاخة الأسرة "أم أحمد" فيخلّدها في شعره وقد رثاها رثاء طريفا فقال:

كم طهت أم أحمد من طعام ... وأعدّت مآدب الأعياد

فتنادى إلى الطعام صغار ... وكبار في بهجة واحتشاد

وأخيرا صارت طعاما رخيصا ... مستباحا في مجمّع الأضداد[29]

الشعر الإنساني:

- **المفهوم:** الإنسانية، مصدر صناعي من كلمة: إنسان، وهي كلمة لم تعرف (إلاّ في عصرنا الحديث، بعد أن اتّصلنا بالمعارف الإنسانية واقتبسنا من علومها وآدابها وفنونها... وشاع استعمالها كثيرا في أدبنا المعاصر، بعد أن... أخذ يهتم بالإنسان وقضاياه العادلة). (30)

والإنسانية عاطفة سامية، لا تعرف وطناً ولا قوماً ولا جنساً ولا لوناً، بل ينضوي تحت جناحها العالم الإنساني كلّه... ولا تعارض أن يكون لدى المسلم انتماء أكبر وأساس إلى دينه وأمته، وأن يكون له مع ذلك (انتماءات وولاءات صغرى وفرعية تلي الانتماء الإسلامي، ولا تتعارض معه.. والفطرة الإنسانية تشهد على أن للإنسان منّا ولاء وانتماء إلى (الأهل) بمعنى الأسرة والعشيرة، وإلى (الشّعب) في الوطن والإقليم الذي تربّى فيه، وإلى (الأمّة) الجماعة التي يتكلم لسانها، ويشترك معها في الاعتقاد الديني، ثم إلى الإنسانيّة التي خلقه الله وإيّاها من نفس واحدة[31].. يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) الحجرات:13

ولا ريب أن هذا المفهوم والمعنى منطقي واقعي، يتكامل وإنسانيّة الإسلام في خصيصة أساسيّة هي "عالميةُ دعوته": يقول الأميري:

من لإنسانيّة منهوكة	قد غذّاها الغرب سمًّا حنظلا
يتلظى الحرَّ من لأوائها	ويعيش العبد فيها ثملا
آلةً أو حيواناً خانعاً	تائهَ الذّات شقيًّا غافلا
هل لها من منجد ينقذها	يركب الصّعب غيوراً باسلا
هل لها إلا فتى الإسلام من	خير عبءٍ في البرايا حملا[32]

إنَّه نداء لكل بني البشر إلى المبادئ السّامية، والمثل العليا، والإخاء الإنساني.

- **مبررات الاتجاه الإنساني عند الأميري:**

يبرر الأميري لوجود هذه المشاعر الإنسانية في نفسه، بأنّها الهموم الكبيرة التي حملها في شبابه، همّ أسرته ثم همّ وطنه ثم همّ أمّته ثم همّ الإنسانية الذي تولّد نتيجة لاتّساع دائرة هذه الهموم فنقلته من المستوى الأدنى الذي يجعل الإنسان يعيش لذاته ولشهواته حتى يكاد يشبه الحيوان في ذلك، إلى المستوى الأسمى الذي يميّز الإنسان.. [33]ولهذا المعنى كتب الأميري قائلاً:

ملكا كنت عند ما كنت طفلا ثم أوشكت أشبه الحيوانا

غير أنّ الهموم حفت بذاتي مذ شبابي تصوغني إنسانا[34]

كما أنّه يقول نثراً: وإذا كان من سجايا الشّاعر ومزاياه رهافة الحسّ، ورقّة العاطفة؛ فمن الطّبيعي أن يكون أكثر تقديرا وتعبيرا عن مآسي الآخرين، واستشعاراً لمسؤوليته الإنسانيّة في عمل ما يستطيع لتخفيف وتلافي أسباب ذلك أكثر من سواه..[35]

فها هو يقول ولّما يتم العقد الثالث من عمره:

لقد ذاب قلبي رقّةً وتولّها فخلت بني الآلام يسعون في إثري

فمن كلّ ذي بؤس لنفسيَ حصّةَ أشاطره الآهات من حيث لا يدري[36]

ويقول عن شعره موضّحاً هذا البعد الإنساني والاهتمام بالإنسان ومصيره ومشاركته همومه وأحزانه:

شعري، ووحي شجونه دائي، ونشر جواه طبّي

كم ذا جنى حلو المنى للمدنفين بعطف ندب

ولكم حنا، وكأنّه قد صيغ من أنفاس صبٍّ

يسع الورى وجراحهم فمداده من ذوب حبٍّ[37]

- **أهم محاور الإنسانية في شعر الأميري:**

1) **مشهد الإنسان في الكون:** وهو اهتمام لافت وبقوّة في أشعاره لأنّه يخاطب الإنسان دون حدود، وربّما تحدّث على لسانه منطلقاً من ذاتيته الضيقة إلى الأفق البشري الواسع، ويشير - عادة- في هذه القصائد إلى الخلق الأوّل، ومهمّة الإنسان في إعمار الكون.[38]

وقصيدته "قطيرة" تتقطّر معاني في هذا الاتجاه، يقول:

أنا..! أقول أنا...! ماذا أكون أنا؟! قطيرة، طوقتها غمرة الثبج...

يجري بي الموج في رهو وفي صخب مدا وجزراً، فنهج الموج منتهجي

لا... بل أنا قدرة تحيا إرادتهم لولا الإرادة لم أخرج ولم ألج

فقد تكون الدنا بي – مرة – حلكا وقد تكون سراجا جل في السرج

... قطيرة أنا، لكني الخِضَمُّ إذا درجت فيما يريد الله من درج[39]

"إنّها النظرة الإسلامية للإنسان، التي أعطته قدرة، وأعلت كرامته فأبادت كلّ مهاترات الأمم الجاهلة، والفلسفات المنحرفة التي كانت ترى أنّه من أصل شرّير ويعلنها الأميري بعفوية الواثق، دون أيّة محاولة للإقناع، لأنها عنده من البديهيات التي يتجادل فيها عاقلان.."[40]

يقول الأميري في موضع آخر:

فجوهر الإنسان
الحبّ والإحسان
.. معدنه من نور
أبقى من الدّهور[41]

2) **الإنسان والحضارة المادية**: لـ"قد استمع النّاس إلى المادية التاريخية فقالت لهم إنّ الإنسان عملة (اقتصادية) في سوق الصناعة والتّجارة، تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطلب وصفقات الرّواج والكساد... واستمع النّاس إلى الفاشية، فقالت لهم إنّ الإنسان واحد من عنصر سيّد، وعنصر مسود، وإنّ أبناء الإنسانية جميعاً عبيد للعنصر السيّد... واستمع النّاس إلى (العقلية) فقال لهم قائل منها: إنّ (إنسانيتهم) كذلك شيء لا وجود له ووهم من أوهام الأذهان، وإنّ الشيء الموجود حقّاً هو الفرد الواحد!.. وبرهان وجوده أن يفعل ما استطاع من نفع أو أذى، كلّما أمن المغبّة من سائر الأفراد والأحداث!... وسمعوا من القرآن غير ذلك... الإنسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله.. يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب، فلا تدركه الأبصار والأسماع. والإنسانية من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد، أفضلها من عمل حسنا واتّقى سيئاً، وصدق النيّة فيما أحسنه واتّقاه".[42]

وعن ذلك قال الأميري:

أيها الصّحب إنّها دورة الدّهـ ـر كفانا في تيهنا دورانا
نخر (الهيروين) إنسان (غرب الـ عصر) نخرا، فلم يعد إنسانا
هو طورا (تقنية) تنطح النجـ م، وطورا يقارب الحيوانا
والدّنى اليوم في رحى من شقاء ضلّ إنسانها وشذّ وهانا
أين روح الإله فيه؟ آما آسـ ـتخلف حتى يسيَّر الأكوانا؟
بسداد وحكمة وجهاد!! ضاع ويلاه، ضيّع الإيمانا
وتعالى على الإله تعالى في غرور، وكابر الديّانا[43]

يصف فراغ هذه الحضارة وتيه أبنائها وضياعهم قائلا:

قادهم علمهم الظا هر للجهل الدفين
فهم يحيون، لكن في شقاء سادرين
ما الذي ينفعهم غزو فضاء بسفين
وهم في ارضهم صرعى بغزو (الهيروين)
وبهتك الخمر وال عهر وفتك المجرمين[44]

ثم يقدّم النّصح الصّادق والإشفاق الشفّاف موضّحا لهم القيمة الحقيقيّة للحضارة الحقّة:

ما حضاراتكم، وإن هي مدّت من ثراها إلى النّجوم جسورا
بالتي تسعد الأنام وئاما وسلاما وصحّة وحبورا
نعمة الأمن والسّكينة في الأعـ ماق والحبّ سلسبيلا نميرا
وتآخي الإنسان– في الله– بالإنـ سان يسدي له ودودا نصيرا
هي فحوى الحضارة الحق، بالإحسان يحيا الإنسان قريرا
وهو الخير، أبدع العرب بالإسـ لام صرحا له مشيدا حصورا
وأقاموا حضارة الدّين– لا الطـ ن فسادت، وعمّت الكون نورا[45]

ويصف في موضع آخر الحال الذي وصلت إليه البشريّة، فيلوم الإنسان بقصد النّصيحة والعتاب كي يستفيق وينفض عن نفسه ذلاً وهوانا:

ايها الإنسان ماذا صنعت شهوات الجسم بالروح الثمين
كرم الله بني ادم مد برا الخلق، وصاع العالمين
عبث الإنسان بالإنسان ما كان فنا في حجا الحق المبين
إنه (الرَقَ) الذي ينكره كل إنسان ووجدان ودين[46]

الخلاصة:

إنّ الملامح التي قصدنا الوقوف عليها في شعر الأميري، تبدو واضحة جلية خاصّة فيما أصطلح عليه الشعر الإنساني لديه، وتبدو في جوهرها عاملا مهمّا في تغذية الرّوح الإنسانية، وشحنها بمشاعر نبيلة، تهدف في النهاية إلى إزالة البؤس والشّقاء عن البشر،

وتكون خطوة مهمّة على طريق بناء الإنسان، لأنّ المشاعر والأحاسيس هي التي تولّد الظروف الملائمة للخلاص من الألم والعذاب وتوحي للعقل في كثير من الأحيان ليتصرّف تصرّفاً يدفع البؤس عن النّاس، ويحقّق لهم الرخاء والسّلام.[48]

وأمّا من الناحية الفنية فإن شعره الإنساني طبعته العاطفة الحارّة المشفقة الحانية على بني الإنسان أينما كان وحيثما وجد، ظهر ذلك في حبّه مشاركة الآخرين في أفراحهم وأتراحهم، في سعادتهم وحزنهم، فجاءت الصورة مبدعة قويّة في خيالها وغايتها مصحوبة ببلاغة متدفقة في البيان وسحره اللّغوي.

ونزعم أخيراً وليس آخراً أنّ الأميري بشعره الغزير المتدفق خدم بصدق وحبّ الشّعر الإنسانيّ العالمي بلغة القرآن وهي العربية الخالدة، كما خدم البشرية في معالجته مواضع حسّاسة ذات صلة بيومياتها وكفاحها المستميت المستمرّ.

هوامش البحث:

1. الكامل في التاريخ لعلي بن محمد المعروف بابن الأثير- دار الكتاب الغربي.بيروت ط:6. 1986- ج2:ص344
2. حلب القديمة والحديثة-عبد الفتاح قلعة جي ص54
3. عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة لـــ:خالد بن سعود الحليبي ط1. 2004 ص2
4. عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة لـــ:خالد بن سعود الحليبي ط1. 2004 ص3
5. عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة لـــ:خالد بن سعود الحليبي ط1. 2004 ص3
6. ديوان "نجاوى محمّدية" مطابع الرشيد المدينة المنوّرة ص157-158
7. عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة لـــ:خالد بن سعود الحليبي ط1. 2004 ص49
8. ديوان "نجاوى محمّدية" مطابع الرشيد المدينة المنوّرة ص352
9. ديوان "نجاوى محمّدية" مطابع الرشيد المدينة المنوّرة ص167
10. ديوان مهرجان القصيد د:عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع-الرياض1993 ص218-219
11. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص5
12. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص4
13. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص7-8
14. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص7-8
15. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص7-8
16. مجلّة الأدب الإسلامي –عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص29
17. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص41
18. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص50
19. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص69

20. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص49
21. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص56
22. ديوان "أمّي" دار الفتح سورية ط1-1398هـ ص128
23. ديوان "رياحين الجنّة" عمر باء الدّين الأميري مكتب البلاد العربية-رابطة العالم الإسلامي العالمية-عمان سنة 1992 ص21
24. مجلّة الأدب الإسلامي -عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص40
25. ديوان "رياحين الجنّة" عمر باء الدّين الأميري مكتب البلاد العربية-رابطة العالم الإسلامي العالمية-عمان سنة 1992 ص23
26. مجلّة الأدب الإسلامي -عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص47
27. مجلّة الأدب الإسلامي -عدد خاص- عمر بهاء الدين الأميري- العدد 6-2008 ص47
28. الإسلام في المعترك الحضاري:عمر بهاء الدين الأميري الدار العالمية للكتاب الإسلامي-الرياض ط2 1993 ص40-41
29. الأميري ديوان ألوان طيف، ص246-247
30. مصطفى لطفي المنفلوطي-المؤلفات الكاملة-مج:النظرات والعبرات، دار الجيل بيروت 1980 ص435
31. د.محمد عمارة-الإنتماء الإسلامي والوطني والقومي تكامل أم تعارض؟ مقالة بمجلة القافلة ع12 1995 ص2
32. عمر الأميري:ديوان آذان القرآن، مؤسسة الشرق للعلاقات العامّة والنشر والترجمة-عمان.الأردن 1984 ص168
33. خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة ط1.مكتبة الملك فهد الوطنية 2006 ص523
34. خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة ط1.مكتبة الملك فهد الوطنية 2006 ص122-123
35. خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة ط1.مكتبة الملك فهد الوطنية 2006 ص524
36. الأميري قصيدة تبنيت آلام البلاد! جريدة:فتى العراق الموصلية: 1944 ص3
37. ديوان لقاءان في طنجة، نشرة للطباعة والنشر-بنميد-الدار البيضاء 1985 ص51
38. خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة ط1.مكتبة الملك فهد الوطنية 2006 ص525
39. ديوان قلب ورب، دار القلم دمشق- الدار الشامية بيروت 1990 ص47-49
40. خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين شاعر الإنسانية المؤمنة ط1.مكتبة الملك فهد الوطنية 2006 ص526
41. الأميري ديوان ألوان طيف، ص350
42. عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم-منشورات المكتبة العصرية بيروت ص11-12
43. الأميري ديوان أيام من وحي المهرجان-وزارة الدولة المكلّفة بالشؤون الثقافية،المغرب 1975 ص14-15
44. الأميري ديوان "نجاوى محمّدية" مطابع الرشيد المدينة المنوّرة ص170
45. ديوان سبحات ونفحات، الرياض 1989 ص48
46. الأميري ديوان ألوان طيف، ص393-394
47. مفيد محمد قميحة: الإتجاه الإنساني في الشعر المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1981 ص77.